المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16A شباط 2025
No.16A Feb 2025

النوستالجيا وتمثلاتها في رواية "في قلبي انثى عبرية"

م.م. هيلين عبد الجبار غيدان
وزارة التربية – مديرية تربية الرصافة الثالثة -ثانوية البتول للمتميزات

الملخص

سنحاول في هذا البحث أن نجد انعكاسات الميول الفكرية التي حاكت خيوطها رواية " في قلبي انثى عبرية" والممتدة إلى البنية الداخلية لها، من خلال التطرق إلى ابعاد النوستالجيا وتأثيرها على المتن الحكائي للرواية. وبحسب الباثولوجيا النفسية فإنه "حلم مأخوذ من الماضي الباهر"، الذي لا يرتبط بزمن الحال بصلة ويتعذر إعادة تشكيله، اما مفهوم النوستالجيا عند علماء النفس فيدل على الحزن الذي ينشأ بسبب الرغبة المفرطة إلى العودة للوطن، الحنين الى الماضي، والشعور بالغربة. ومن طبيعة الإنسان التي جبل عليها رغبته باسترجاع ماضيه السعيد والابتعاد عن حاضره الحزين. تتعامل دراستنا (النوستالجيا وتمثلاتها في رواية " في قلبي انثى عبرية") مع الابعاد السردية للحنين الى الماضي في الرواية، وتقوم على رؤية وصفية استنطاقية تخضع لقواعد التحليل البنيوي ونظريات السرد الحديثة، وتتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة. في المبحث الأوّل الذي عنوناه بـ (النوستالجيا (الحنين الى الماضي))، فقد عالجنا فيه ثلاث محاور: النوستالجيا لغة واصطلاحا، النوستالجيا مفاهيميا، وتصنيفات النوستالجيا. وعالجنا في المبحث الثاني الذي عنونته بـ (تمثلات النوستالجيا في رواية "في قلبي انثى عبرية")، وخاتمة تضمنت أبرز نتائج البحث التي توصلت اليها وهي: تصوير الشعور النوستاليجي بمختلف أشكاله داخل الرواية، من خلال استخدام الدلالات اللغوية. وأبرز انواع النوستالجيا التي عالجتها الكاتبة، نوستالجيا الزمن وارتباطها بالمكان (الزمكانية). وتمكنت الكاتبة من ابراز البعد النوستالجي الكامن في الشكل البنائي للرواية بمحوريه الخارجي والداخلي.

الكلمات المفتاحية للبحث: التمثلات، الرواية، النوستالجيا

Nostalgia and its representations in the novel "In My Heart is a Hebrew Female"

A. L. Helen Abdeljabar Gedan
Ministry of Education – Directorate of third Rusafa -Secondary School For the privileged girls

Abstract

In this research, we will try to find the reflections of intellectual tendencies that weaved the threads of the novel "In my heart is a Hebrew female". And extended to its internal structure, by addressing the dimensions of nostalgia and its impact on the narrative body of the novel. According to psychopathology, it is "a dream taken from the brilliant past", which is not related to the current time and cannot be reshaped, while the concept of nostalgia among psychologists indicates the sadness that arises due to the excessive desire to return home, nostalgia, and a sense of alienation. It is the nature of man who is motivated by his desire to recover his happy past and to stay away from his sad present. Our study (Nostalgia and its representations in the novel "In My Heart is a Hebrew Female") deals with the narrative dimensions of nostalgia in the novel, and is based on an interrogative descriptive vision subject to the rules of structural analysis and modern narrative theories, and consists of an introduction, two sections and a conclusion. In the first section, which we titled (Nostalgia (nostalgia)), we dealt with three axes: nostalgia language and idiomatically, nostalgia conceptually, and nostalgia classifications. And we dealt in the second section, which is entitled..

Keywords: representations, novel, nostalgia

المقدمة

الحمد لله خالق الإنسان، معلمه البيان، والصلاة والسلام على رسوله العدنان وآله الطيبين الأطهار وعلى صحبه الأخيار، وبعد:

يعُد الفعل الأدبي مرآة تعكس الحنين إلى الماضي، حيث مكمن الذكريات، إلى احباب إلفناهم ثم فارقونا، الى موقف مرّ بنا وأثّر في بنيتنا النفسية. إن العبارة الشهيرة التي يبدأ بها أي قاص قصته: «كان يا ما كان في قديم الزمان...» هي دلالة بينة عن ارتباط وتعالق بين ما يعرف بـ«النوستالجيا» وصناعة الأدب على تنوع اساليبه.

انصب الجهد الأكبر في هذا العمل على النوستالجيا وتمثلاتها، فكان عملي يتفرع لمسارين أولهما: تحديد ماهية النوستالجيا، ودراستها وتحليلها ومناقشتها. والمسار الثاني: محاولة تحديد تمثلات النوستالجيا في رواية " في قلبي انثى عبرية" للكاتبة (د.خولة حمدي)، وكان عملي هذا ناتجاً عن قناعتي بأن النوستالجيا انعكاس للماضي، كما أنها نتاج النص.

ومن هنا جاءت دراستي للنوستالجيا وتمثلاتها، كضرورة للدراسة والتوقف عند آلية اشتغالها في الرواية لتسليط الضوء على مفهوم النوستالجيا وتمثلاتها ودورها في درامة الرواية، ولإعمام الفائدة للباحثين والدارسين في مجال الادب العربي من حيث التعرف على مفهوم النوستالجيا.

إلا أنَّ هذا الموضوع لم يكن مأمون الجوانب، أو خاليا من الصعوبات، وذلك لأنَّه يسبر غور تعالق النفس البشرية الحانّة الى الماضي.

وبعد جمع المادة البحثية، وزعتها على مبحثين، تسبقهما المقدمة، تطرقت في المبحث الاول الى: النوستالجيا ومفاهيمها، وفي المبحث الثاني الى: تمثلات النوستالجيا في رواية (في قلبي انثى عبرية). وتبعتهما بخاتمة لأهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج البنيوي في الدراسة من خلال تحليل التمثلات والاتكاء على موجهات المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل الظاهرة السردية.

وبعد.. فهذه دراسة رغبت لها أن تظهر أفضل المظاهر، فان كانت مثلما رغبت، فالحمد لله والشكر، وإن بدر مني نحوها شيئ من التقصير، فأدعوا الله عز وجل أن يلهمني القدرة على التعلم من الخطأ، والحمد لله أولا وابدا، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول
النوستالجيا (الحنين الى الماضي)

النوستالجيا

من مبهرات العقل البشري قدرته على استرجاع ما مر به من احداث ماضية (الذكريات)، وهذه المزية تنسلخ من حقيقة ان الزمن لا يمكن العودة اليه، فهو جارٍ بلا توقف ولا انتظار، فالعقل له القدرة على التحايل على جريان الزمن من خلال الحنين الى ماضيه المرافق لذلك (الزمن الماضي). ما تقدم يؤطره مفهوم الـ Nostalgia أو الحنين الجارف إلى الماضي.

أولا النوستالجيا: Nostalgia

لغة:

الحنين إلى الماضي واستدعاء الذكريات السالفة في الأدب العربي، هو ما يقابل النوستالجيا في الأدب الغربي، وللنوستالجيا جذور في اللغة اليونانية، مأخوذة من (nostas) بمعنى الرجوع و (algos) بمعنى الألم، والنوستالجيا في اللغة بمعنى الإحساس بالألم، والتحسر على ما مضى وما فات، وجاء معادل النوستالجيا في المعجمات كالآتي: النوستالجيا : الحنين والشوق المفرط للرجوع إلى الماضي، وحنين الغربة، والتحسر على الماضي والحنين للأهل والوطن وأيام الطفولة والصبا، وفي أبسط تعريفاتها تدل على

الرجوع إلى الماضي وحب شديد له واستدعاء شخصياته وأحداثه وأمكنته مع البسط والتفصيل في الذكريات التي تتعلق به» [1].

اصطلاحا:

عرف قاموس أكسفورد الحديث للغة الإنجليزية النوستالجيا بأنها الشوق الوجداني أو عاطفة حزينة لفترة ماضية، وغالبًا ما يكون لفترة زمنية أو مكان ارتبط في ذاكرة الإنسان بعلاقات شخصية سعيدة، ويمكن اعتبار النوستالجيا تجربة عاطفية تغلب عليها طابع الإيجابية أو انفعال ذاتي[2]. ويشير مصطلح (نوستالجيا) عادةً إلى الحياة الماضية والوقت الذي كانت فيه الحياة جيدة، وقد أشار الحنين إلى الحالة الطبية في الأصل، وقد صاغ الطبيب السويسري يوهانس هوفر المصطلح في أواخر القرن السابع عشر، في إشارة إلى الحنين للوطن الشديد الذي مر به المرتزقة السويسريون، شملت أعراض الحنين، أفكارًا متواصلة حول المنزل والكآبة، والأرق وفقدان الشهية، والضعف، والقلق، ونقص التنفس، وخفقان القلب [3].

المبحث الأول: النوستالجيا مفاهيميا

إن الحنين الى الماضي (Nostalgia) من أهم سلوكيات الانسان سواء كان فرداً أو جماعة، تؤثر مجموعة من العوامل الاجتماعية والنفسية على هذا السلوك مثل: الفقد، الهجر، الفرح، الحزن، كل هذه العوامل تستدعي حضور الذكريات الماضية لتخفيف وطأتها أو لتعظيمه، يمكن ادراج هذه العوامل تحت مسمى الحنين ونستعرضها وفق ما يأتي: -

أولا / الحنين إلى الماضي:

يكاد الفعل الأدبي بمجمله يكون حنيناً لا مفرّ منه إلى ماض انقضى، أو أماكن ارتدناها، أو إلى أشخاص مروا بنا. ولعل مفتتح الحكايا الشعبية التقليدي: «كان يا ما كان في قديم الزمان...» أبلغ تعبير عن ذلك التمازج العضوي بين ما يعرف اليوم بـ«النوستالجيا» وصنعة الأدب على تنوع أشكالها التعبيرية، بل إن مفكرين غربيين معاصرين، مثل إريك ساند بيرغ، ذهبوا إلى الزعم أن الأدب هو في الخلاصة شكل فني يعبر عن «النوستالجيا»، إن لم يكن عبر ارتباط صريح بماضٍ محدد؛ ففي الأقل على شكل عاطفة من الحنين والهوس بما قد كان تجدها تتسرب من بين ثنايا النص. [4]

تعني العودة إلى الماضي، وإعادة الذكريات المليئة بالسعادة، حيث قام الطبيب السويسري يوهانس هوفر) بدراسة الأعراض السلوكية للمرتزقة السويسريين ووجودهم بعيدًا عن وطنهم، وأن المرضى الذين يعانون منه، يسكنون ويعانون من قلق نفسي شديد، والذكريات التي تجمعهم وتذكرهم بموطنهم واحبابهم، وأن أولئك الذين يعانون من المرض والاضطراب النفسي، يتخيلون أشياء تحدث في المنزل، ولا يتركون أي مساحة نفسية وراحة للعقل والذهن للأفكار حول العالم، وتتدرج الأعراض بدءًا من اليأس إلى نوبات من البكاء، وفقدان الشهية، والانتحار، وقد وصفه حينها بأنه مرض عقلي[5].

إن (الحنين إلى الماضي) هو شوق لحدث ما علق بالذاكرة في زمن مضى يستثير مكامن العواطف واستحضار تلك الاحداث من اوقات مختلفة يتوق اليها. ولقد جاء في كتاب Nostalgia Sanctuary لمؤلفه جانيل ويلسون عدة مفاهيم حول مصطلح (النوستالجيا) منها: -

- الحنين إلى الماضي هو تعبير شخصي عن النفس، يوفر للشخص إحساسا بالاستمرارية.
- الحنين إلى الماضي هو شكل من أشكال التواصل بين الأشخاص، وهو يخدم غرض الترابط.
- الحنين إلى الماضي هو شكل من أشكال التفكير في الماضي أو تخيله.

- يمكن استخدام الحنين إلى الماضي كسلعة ثقافية مشتقة من تجربة فئة عمرية معينة، وتحويلها إلى شريحة من السوق. [6]

ثانيا / الحنين إلى الوطن:

يُعرف الحنين إلى الوطن على أنه الضيق والضعف الوظيفي الناجم عن الانفصال الفعلي أو المتوقع عن المنزل وأشياء المرفق، مثل الآباء والأمهات والسمة المميزة للحنين إلى الوطن هي الأفكار المتكررة التي تركز على المنزل، كالأحباء، والوطن، والطهي المنزلي، والعودة إلى المنزل، والضغط المستمر، هو دائما فصل متوقع أو فعلي عن المنزل، لذلك من الممكن التمييز بين الحنين إلى الوطن عن جميع الأنواع الأخرى من اضطرابات القلق أو اضطرابات المزاج، أو الخدمة العسكرية، أو الطلاق، أو السجن[7].

قد يشكل الحنين إلى الوطن في مراحل متطورة العديد من المخاطر التي تهدد حياة الأفراد، إذ تشمل عوامل الخطر لتطور الحنين إلى الوطن الشديد لدى الشباب القليل من الخبرة السابقة بعيدًا عن المنزل، والتجارب السلبية السابقة بعيدا عن المنزل، والانطباعات السلبية الأولى، وتوقعات منخفضة للبيئة الجديدة، والشعور بالإرغام على مغادرة المنزل، والتعلق غير الآمن بمقدمي الرعاية الأولية، والتاريخ السابق للاكتئاب أو القلق، والرسائل المتضاربة من مقدمي الرعاية الأساسيين، مثل استمتع بقضاء وقت ممتع بعيدًا، لا أعرف ماذا سأفعل بدونك [8].

على الرغم من أن أفضل طريقة للحد من الحنين إلى الوطن بشكل مكثف، هي من خلال برنامج وقائي مدعوم تجريبيا، يمكن تدريب مقدمي الرعاية البديلة، كمستشاري المعسكرات، والمدرسين والموظفين الصحيين عبر المواد المطبوعة والتعليم عبر الإنترنت على التعرف بأعراض الضائقة التي تعالجها مرافقة الحنين إلى الوطن.

تصنيفات النوستالجيا:

يمكن تصنيف النوستالجيا إلى الآتي[9]: -

النوستالجيا الشخصية : تشير النوستالجيا إلى الخبرة والتجربة الشخصية المباشرة تختص بالخبرة المباشرة والذكريات الشخصية، أو موقف مميز من المواقف سواء كان هذا الموقف جميلا أو سيئا ، مر على الإنسان في الماضي، والنوستالجيا الشخصية هي ما يسمى (الحنين الحقيقي)، وكان من أكثر المواضيع تحلي نفسية واجتماعية[10]، فالمتلقي أو القارئ يكون لديه استجابة وفهم أسرع للنوستالجيا، عندما تكون ذات صلة بذكرياته في الماضي، أي أنه عاش تلك الذكريات أو مرت به، وتركت أثرًا في نفسه، وذلك يعكس خبراته من تجاربه الشخصية، وليس مما قد قرأه في كتب أو قصص[11]، وتهدف النوستالجيا الشخصية إلى إحياء الذكريات والرجوع اليها للقارئين، من خلال إعادتهم إلى الماضي والأيام التي كانوا فيها أصغر سنا.

النوستالجيا التاريخية: تضم الأحداث والمواقف التي لم يعشها الفرد ولكنه سمع عنها وتأثر بها، وتوصف النوستالجيا التاريخية، بأنها الرغبة في الانسحاب من الحياة والذهاب إلى الماضي البعيد، والذي ينظر إليها على أنها أفضل من الحاضر[12]، والهدف من استخدام النوستالجيا التاريخية، هو جعل القارئ يعتز بمحاسن وأمجاد الماضي، على أمل أن بعض منها يقوم بتغيير الواقع [13].. النوستالجيا الثقافية تشير على خبرة مباشرة يشترك فيها مجموعة من الأفراد، على سبيل المثال، وجود الذكريات المتشابهة بين العائلات عن الاحتفالات والأعياد [14].

النوستالجيا الافتراضية: تستند على الخيال والخبرة غير المباشرة، بدلا من تجربة شخصية، وقد تنشأ من الكتب والقصص والأساطير الخيالية التي لم تحدث في الواقع، ولكن القارئ على معرفة بها، وأن سبب

الاختلاف بين فئات النوستالجيا، يرجع إلى حد كبير للاستجابات المختلفة، ومن المتأكد أن تكون النوستالجيا الثقافية والافتراضية والتاريخية بسبب التركيز الجماعي، ومن المحتمل أن تكون أكثر تناغما وتماسكا بين الأفراد من النوستالجيا الشخصية [15].

ومما تقدم، نرى أن فهم النوستالجيا، مرتبط بفهم المكان وعلاقته بالحدث، وبالحاضر ومظاهره، وبادراك الذات لمحيطها، وقدرتها على التعامل معه، فمتى ما تعقدت علاقة الذات مع المكان باعتباره الوطن، وتحول الى ثقل عليها، نراها تبحث في الماضي ليكون الملاذ في تخطي الحاضر وتفاعلاته، او يكون امتداداً لحاضرٍ جميل.

المبحث الثاني / تمثلات النوستالجيا في رواية "في قلبي انثى عبرية"

اولا/ الحنين الى الوطن

يعطي المكان بأبعاده المختلفة دلالة ذات معنى تحمله الحكاية بصورة عامة والسرد الروائي بصورة خاصة؛ لأن المكان هو الحيز النفسي للحكاية مثلما هو فضاؤها، وكلما ضاق هذا الحيز تكثفت محتويات الذاكرة بوصفه معادلاً موضوعيًا لنفسية الشخصية فهو المجال الفيزيائي لانفعالاتها ومن ثم سيتحول إلى نكرة أو إلى شيء منزوع الهوية. ولا يعني مغادرة المكان التحول من محدوديته إلى مجال مفتوح بوصفهما مفهومان متضادان، إذ قد تحمل الشخصية ذلك المكان داخلها بمعنى سيطرة الانغلاق والمحدودية على الشخصية، وبهذا المعنى يكون الفضاء الروائي ((عنصرًا مساهما في عملية إنتاج المعنى)) [16].

((... بوجود قطعة من ذكرياتها أصرت على ملازمتها عنوة رغم محاولة الفرار المتعمدة. احتضنته في تأثر وأجهشت بالبكاء. لم تستطع تمالك نفسها أكثر بعد مقاومتها العنيفة منذ وطئت قدماها هذه الأرض الغريبة. تركت العبرات تسيل على وجنتيها وتطفىء حرارة حسرتها)). [17]

((وقد أخذتها الذكريات الجميلة، قامت بتثاقل وهي لم تنم لحظة واحدة تذكرت ليلتها الأولى في هذا المكان فتنهدت هل ترى رحلتها فيه قد انتهت؟)) [18]

إنه تأكيد واضح من قبل المؤلفة في المقطعين السابقين على لسان الشخصية (ندى)، بان شظايا الماضي، يمكن إستعادتها، لحاجتها النفسية لها؛ فالماضي لا يعود، وهي تؤكد مرة أخرى من خلال بكاءها والعبرات، عجزها عن استعادة ذلك الماضي وهنا تبرز قوة النوستالجيا وتأثيرها في المشهد.

((ليمكث فيها لبعض الوقت .... فقد ظلت غرفتها، حتى بعد رحيلها. كان لديه أمل خفي بأن تعود إليها يوما وإن طال الأمد لكنها هي حقيبتها قد عادت دونها. أخذ يجوب بعينيه أرجاء الغرفة مسترجعا الذكريات السعيدة التي جمعته بها. ذكريات طفولتها الضائعة في غمار الآلام، ويجتر الحزن الذي سكن في صدره منذ وصله نعيها ... بل منذ فارقت عيناه وجهها أمام بوابة الرحيل في المطار!)) [19]

في النص تظهر نوستالجيا شخصية، بصراع الماضي مع الماضي، بين ماضي مؤلم، و ماضي جميل، متأملا الخلاص من ماضي مأساوي، والامل بحاضر جميل، ولكن هذا الحاضر مأساوي، فألم هذا الحاضر دفع بالشخصية الى الحنين لماضي مؤلم، في خضم هذه الجدلية يبقى النزاع بين اختيار ماضي من الماضي، أو قبول الحاضر المختلف مع الماضي.

((وترقص نبضات قلبها على نسق الحياة السياسية والعسكرية للبلاد. لحظات فريدة ستظل محفورة في ذاكرة قلبها ... لن تذكرها إلا بالشوق والحنين. أبدا لن يخالط أحاسيسها الندم، رغم فداحة خسارتها. يوما ما، ستكتب رواية عن تلك الفترة من حياتها، لتقاسم تجربتها آلاف البشر .... وتعلمهم معنى المقاومة، ومعنى الأرض ... وأيضا معنى الحب، والإيمان.)) [20]

اختلفت طبيعة الشعور النوستالجي بين ثنايا الرواية، فيكون الشعور سلبيا أحيانًا ، وإيجابيا أحيانًا أخرى، وسببًا في البقاء، والتشبث بالحياة، رغم سطوة الحدث و قساوته، فكلما سيطر اليأس عليها، كانت النوستالجيا هي الملاذ منه؛ فهي تستحضر جمال الماضي.

ووفق بويم، فإن «النوستالجيا» حنين لمنزل، أو حال، أوّل، لم يعد موجوداً أو متاحاً، أو إنّه لم يوجد قط، مما يعني أن النظر بلوعة وتشوّق إلى الماضي لا يعني بالضرورة تذكر الماضي كما كان بالفعل، بل إعادة تشكيل كلية له حذفاً وحجباً، وتعديلاً وتشويهاً، بل وافتعالاً، في ضوء خبرتنا المعيشة منذ ذلك الحين، لتكون النتيجة أشبه بـ«يوتوبيا» مدينة فاضلة أكثر منها بتنقيب عن آثار قائمة بالفعل.... ماض ليس ذهبيّاً بقدر ما هو ماض مذهب. [21]

((عادت إلى بيتها. إلى غرفتها، إلى عالمها فتحت خزانتها، حيث تركت كل حاجياتها القديمة وقسمًا كبيرًا من ذكرياتها كل شيء كان في مكانه، كما تركته. مكتبها، أوراقها، سريرها ... كل شيء كان في انتظار عودتها، مسحت الغبار المتراكم وأعادت الحياة إلى كل قطعة من ماضيها. بسرعة، استلمت مهامها الجديدة. سارعت تفتح النوافذ التهوية الغرف شنت حملة تطهير وتنظيف على كل ركن وكل زاوية. كانت قد عزمت على البدء من جديد. سيكون غدها خيراً من أمسها ...)) [22]

يُعد هذا المقطع، صورة جلية لتمثلات النوستالجيا، حاولت فيها ندى الرجوع إلى الماضي، ولكنها تشبثت بالحاضر واستبعدت ذاكرتها، متأملة مستقبلا خيرا من الماضي من خلال العبارة (**سيكون غدها خيراً من أمسها ...**).

ثانيا / الحنين الى الماضي

(شتان بين زيارة الماضي والسكن فيه، بين نقده وأحياناً نقضه وبين الهوس به والذود عنه. هناك فارق هائل بين ابستمولوجيا» الماضي و «نوستالجيا» الماضي. فالأولى هي النظرة المعرفية المدققة التي تحاول فهم الماضي عقلانياً. أما الثانية فرؤية تبشيرية تقدس الماضي وتجعل العيش فيه ملزماً. والعرب مثل كل الأمم لديهم ماض، لكنهم يظهرون قياساً بغيرهم حنيناً مفرطاً له. يتوقون بلا حدود إلى شخصيات وأحداث وروايات وظروف يزيد عمرها أحياناً على ألف عام) [23]

((عادت ذاكرتها بها الى الوراء، واخذت صور من الماضي تنساب امام عينها وهي تحدث هذا الرجل الغريب عن حياتها. تذكر ذاك اليوم، حين جلست امها اليها واختها دانا في ساحة منزل جدتها العتيق. رغم سنواتها الاربع، فإن الكلمات كانت واضحة في ذهنها والدتها حدثتها عن الشتات الذي كتب على اليهود وعن ضرورة الرحيل وترك الاهل والاحباب، لان ذلك هو قدرهم المحتم. الله كتب عليهم التنقل من مكان الى اخر وعليهم الانصياع مهما كان ذلك قاسيا)) [24]

حاولت الكاتبة ابراز الذكريات التي تجول في ذهن الشخصية المركزية عن حياة اليهود في الشتات لئلا تنفلت من الذاكرة بتقنية السرد الروائي للماضي الذي يشكل الحاضر امتدادًا طبيعيًا لأحداثه.

((اخذتها الصور إلى عالم الذكريات البعيدة. ارتجفت أناملها حين وقعت عيناها على صور ميشال وسط عائلته الصغيرة. ضمّت الصورة إلى صدرها في حب، وصدرها يطلق التنهيدة وراء الأخرى. لماذا تركتني يا ميشال؟ من يساندني الآن غيرك؟ من يمسح دمعتي ويطيب خاطري ويدافع عني؟ لقد كنت لي خير أخ ... لكنني قصرت في حقك كثيرًا، ولا عذر لي في ذلك! أخيرا كانت هناك صورة جورج وهو يرفع كريستينا الصغيرة بين ذراعيه ويبتسم إلى العدسة. بابا جورج، أنت ابي الحقيقي الذي شعرت باليتم من بعده. أشك أن أبا في العالم قد يحب أولاده كما أحببتني. رحمك الله وطيب مثواك.)) [25]

((كانت صور حفل خطوبتها الأولى. لم تستطع التخلص منها أبدا. لا تزال تحتفظ بها بين صورها الخاصة، في درجها المقفل. أخرجتها واحدة واحدة، وراحت تتأملها في بطء، كأنها تملأ عينيها منها. تنهدت وهي

تطالع الصور للمرة الثانية. ربما آن الأوان لكي تتخلص منها. أليس من حق زوجها المستقبلي أن تكون مشاعرها خالصة له وحده؟ عليها أن تحسم أمرها بشأن ذكرياتها، لتعيش حاضرها مطمئنة البال.)) [26]

((فتحت الدرج، ومدت يدها من جديد لاستخراج الظرف. لكنها توقفت فجأة حين وقعت عيناها على الصورة التي علت كومة الصور المبعثرة. كانت صورته، منذ خمس سنوات أو أكثر، وابتسامة ملائكية عريضة تملأ وجهه. أحست بانقباض شديد في صدرها، فارتمت على الكرسي في اعياء)) [27]

في المقاطع السابقة، تظهر نوستالجيا شخصية، ففي محاولة من (ندى) استذكار المواقف الجميلة الشخصية تارة مع "ميشال" وتارة مع خطيبها "احمد" ، والتي حصلت لها معهما في حياتها السابقة، من خلال تأمل الصور، هذه الصور اختزلت وجمعت قوة الذكريات الماضية وجمالها؛ فنجحت الكاتبة في ابراز الشعور النوستالجي لدى الشخصية من خلال توظيف قوة الصورة.

((تسارعت أنفاسها وهي تتنقل بين الصور التي عادت إلى ذاكرتها كأنها عاشتها بالأمس. كانت مغامرات حقيقية، أعطت لكينونتها بعدا آخر، وسقت قلبها نوعًا من الحياة لم تتذوقها من قبل ... ولن تتذوقها من جديد أبدا. أن تكون إلى جانب من تحب، وتشاركه أسراره وحياته الخفية، أن تكون معه،)) [28]

لكي يصل القارئ إلى حالة من التصور الابداعي للمكان حاولت خولة الاستعانة بالعنصر الخارجي الذي يعرفه المتلقي مسبقا، من قبيل الصور إذ استخدمتها البطلة وسيلة لاستثارة ذكرياتها واضفاء البعد النوستالجي على الحدث في هذه المقاطع

((أما أنا، فإنني أحمل ذاكرتي على كفي. تلك اللعنة ظلت ترافقني ... لعلني لم أرزق نعمة النسيان مثل كل البشر. رغم أنني لا أقرأ أبدا في المذكرات التي أكتبها منذ صغري، إلا أن الصور تعاودني كلما عّن لها الأمر، بكل تفاصيلها.

لذلك تتراءى لي صورة ريما الآن بنفس الوضوح، رغم مرور كل ذلك الوقت. أتخيلها الآن في فضاء هذه الغرفة، أكاد أراها رأى العين تتحرك بنفس الحيوية والعفوية.)) [29]

حاولت الكاتبة ابراز الشخصية المقنعة بالقوة، لكن هسيس الذاكرة يدفع بها الى التذكر والحنين الى الماضي. في المقاطع السابقة جهدت الكاتبة الى ابراز البطلة وهي تحاول الاستعانة بالنوستالجيا لاظهار قوة الحدث الذي تمر به.

((أعادت إليها كلمات جاكوب القليلة الأمل. لم تكن كلماته ما أثر بها بقدر ما هي نبرة صوته ولهجته الحانية، بل لهفته واشتياقه حين سمع صوتها. عاد بابا يعقوب القديم الذي يحبها ويخاف عليها. ظلت تستعيد لحظات طفولتها السعيدة والصور تطفوا حولها وتتهادى مبددة ظلام الغرفة ومرسلة دفئا هادئا الى اوصالها.)) [30]

لجأت الراوية إلى النوستالجيا لتجاوز النسيان، ومقاومة انسلات الأيام والعمر فيصعب بذلك التنبؤ بالمستقبل، ولأن تلك الذكريات المؤلمة تلّح بقوة غازية الذاكرة بآلامها، فتطوق الإنسان ويغدوا اسير تلك الذكريات التي تلاحقه، ولعل الاحداث المؤلمة التي عاشتها البطلة كانت الدافع الأكبر الذي أثار تلك الذكريات المحبوسة في عمق الذاكرة.

ثالثا / نوستالجيا الزمن

يتعالق الزمن الماضي بالنوستالجيا ، متيحاً خيارين للإنسان؛ إما محققاً لوجوده، أو هامشاً بلا اثر خلال الزمن، ففي كل لحظة تنعزل فيها الشخصية الرئيسية عن محيطها يمتنع الزمن عن إعطاء أي دلالة للوجود فيتماثل هذا الوجود مع عدمه، وغالبا ما يكون سبب هذا التوقف هو قوة الحدث الآني التي تتلقاها الشخصية

نتيجة الانكسار والخيبة وانعدام الأحلام والآمال والرغبات التي تجعلها تفقد شعورها بالزمن، فيتناثر الزمن خلال تشعبات الحكاية السردية و تقدمه كفضاء ملتصق بالمكان، فهما ثنائية لا ينفصلان، كما بيّن ذلك ميخائيل باختين فيقول عن الزمكان الفني: ((هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك و مشخص، الزمان هنا يتكثف، يتراص، يصبح شيئًا فنيًا مرئيا، والمكان أيضا يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثًا أو جملة أحداث التاريخ علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني)) [31].

((انتبهت من رحلتها إلى الأمس البعيد، وقد أوشكت رحلة الحاضر على الانتهاء. لم تشعر بمرور الوقت مع انغماسها في قراءة مذكراتها. ابتسمت وهي تغلق المفكرة وتدسها في حقيبتها من جديد عادت إلى واقعها، تتأمل ما آلت إليه حياتها. حياة التكرار الروتينية التي تحدث عنها أحمد)) [32]

((هزت رأسها متفهمة، دون أن تلتفت إلى والدتها. نعم، ستكون أمامها رحلة في الترب خطوة أخرى من طويلة أخرى إلى الماضي. حتى تصل إلى محطتها. فلتعش معه آخر اللحظات قبل أن تشفى منه إلى الأبد ... وتبدأ رحلتها الجديدة. هناك، في حقيبة يدها تحت المفكرة كانت ترقد صورة وحيدة في الظلام صورة من الماضي .... وكم الشفاء منها صعب، صعب جدا)) [33]

((عادت تسترجع شريط الذكريات القريبة. عادت تناجي أطياف الماضي التي خلفتها وراءها، ظانه أنها ستقدر على الفرار منها ... وجدت نفسها تتخذ تلك الوضعية ... تستلقي على الفراش وتحدق في السقف لم تدر كم مضى عليها من الوقت وهي تتأمل الفراغ في وضعية الاستلقاء. لكن طرقات مترددة على باب شقتها أيقظتها من غفوتها)) [34]

حاولت الكاتبة بالمقاطع الثلاث كسر الزمن ورتابته من خلال تحدي العدم والزج بأطياف الماضي، ما منحها الامل والرغبة بمواصلة مسيرتها.

ويتجرد الزمن داخل المكان من حقيقته، فهو ليس بالزمن الروائي، إنه زمن مختلف عما يعرفه الإنسان، وإذا كانت الكاتبة تستجدي الزمن من خلال الذاكرة فإنها تستحضر الماضي الذي مر ثقيلاً، تقول: **((تبدو الآن في ذاكرتها كحلم غريب. ذهبت إلى هناك فرارا من ذكرياتها مع أحمد، فعادت وقد تقاربت المسافة بينهما بشكل لا يصدق! ربما لم تقترب من أحمد نفسه الذي لا تدري ما كان مصيره .... لكنها طويل من بالتأكيد اقتربت من عالمه حتى كاد العالمان يتوحدان ....))** [35] هذه المدة الزمنية التي تحدثت عنها خولة مثلت الزمن الكافي لمعاناة الشخصية لما تتعرض له هو من الم البعد عن حبيبها (احمد)، إذ يصبح البعد مصدر الالم، يؤثر فيها.

((جذبت الباب لتغلقه، وسارت بخطوات مرتبكة نحو السيارة. وبسرعة، عادت إليها ذكريات لقائها الأول بأحمد، حين انفجر إطار السيارة نفسها في هذا الشارع. أفتر ثغرها عن شبح ابتسامة باهتة، وهي تتخذ مقعدها في الخلف. مضت شهور طويلة على تلك الحادثة، وها هي اليوم تصعد إلى السيارة، يقودها جريح الأمس

- كيف حالك ندى؟

أخرجها صوته من ذكريات البدايات. نفس الصوت الدافئ الذي باتت ليال طويلة تسترجعه، قبل أن يتحوّل حلمها إلى حقيقة، لكن لا ... ليست هذه نفس النغمة الحانية التي كانت ترافق كلماته. فتور غريب في صوته. ربما اعتادت منه الفتور في الفترة الأخيرة، لكنها لم تتعود عليه أبدًا. تأمل أن يعود يوما أحمد الذي عرفته وانتظرته.)) [36]

عمدت الكاتبة هنا الى ابراز قوة التخيل والاستذكار ووظفتها لإظهار النوستالجيا لدى ندى، فانفجار الإطار شكّل همزة الوصل للموقف بأجمعه ورابط للذكرى والحنين الى زمن لقائها الاول بأحمد.

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث المخصص لدراسة النوستالجيا وتمثلاتها في رواية في قلبي انثى عبرية للدكتورة خولة حمدي. لابد من الوقوف على أهم النتائج التي أفضت هذه الدراسة إليها، إذ تمخض البحث في هذا الموضوع عن نتائج مهمة، يمكن إيجازها على النحو الآتي:

1- استدعت الكاتبة النوستالجيا الشخصية الغائبة عن وطنها وحنين العودة ووظفتها في الرواية لابراز قوة الحنين في مجرى الاحداث.

2- تصوير الشعور النوستاليجي بمختلف أشكاله داخل الرواية، من خلال استخدام الدلالات اللغوية.

3- أبرز انواع النوستالجيا التي عالجتها الكاتبة، نوستالجيا الزمن وارتباطها بالمكان (الزمكانية).

4- تمكنت الكاتبة من ابراز البعد النوستالجي الكامن في الشكل البنائي للرواية بمحوريه الخارجي والداخلي.

5- يتطور الشعور بالنوستاليجا مع تزايد الحاجة للتخلص من المعاناة التي تضرب مجتمع الرواية.

6- شكلت بيئة الرواية حيزا مكانيًا مقصودًا في السرد الروائي، كما شكلت حيزا نفسيا ضاغطا على الشخصية، فشكّلت معادلا موضوعيا مستمرا لتلك الذكريات التي سردتها الكاتبة؛ فالتصقت بنفسية الشخصية حتى بعد انعتاقها منها.

7- كان حضور " الـ أنا " طاغيا في مشاهد الرواية السردية ذات البعد النوستالجي ولم تعمد الكاتبة الى تهوينه، بل ابرزته ودفعت به الى صدارة السرد الروائي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد أشرف الانبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر

- د. خولة حمدي، (2012)، *في قلبي انثى عبرية*، كيان للنشر والتوزيع، تونس.
- سعيد بنكراد، (2001)، *السيميائيات السردية*، الدار البيضاء منشورات الزمن.
- ميخائيل باختين، يوسف حلاق (مترجما)، (1990م)، *أشكال الزمان والمكان في الرواية*، وزارة الثقافة - سورية.
- د. ابراهيم عرفات، (2017) *توظيف النوستالجيا في حياتنا*، مجلة الوطن.
- عزت ملا ابراهيمي وصديقه جعفري نزاد: مظاهر النوستالجيا في شعر امريء القيس، في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (الحلة: جامعة بابل، العدد 38، نيسان 2018م).
- تي اس اليوت ستيفانا بويم، (2023)، *النوستاجيا في الادب.. من يحتاج الى الماضي*، صحيفة الشرق الاوسط.
https://aawsat.com/home/article/4265646/%C2%AB%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%88%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%A7%C2%BB-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D9%8A%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%9F

- willis NcCann: Nostalgia: A Descriptive and Comparative Study, (Ph.D) (Indiana University, Dept. of Psychology, 1940).

- D.D. Muehling and Pascal: An empirical investigation of the differential effects of personal. historical and non- advertising on consumer responses, (Journal of Advertising, Vol. 40(2), 2011).
- J.J.Sierra and McQuitty: Attitudes and emotions as determinants of nostalgia purchases: An application of Social Identity Theory, (Journal of Marketing Theory and Practice, Vol. 15(2), 2007).
- Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, (Organizations and Markets in Emerging Economies, ISSN 2029-4581, VOL. 4, No. 2(8)، 2013).
- Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, Ibid.
- Nikita Telford: Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, (Dublin: National College of Irelan, 2013).
- Jeff Greenberg Sander L. Koole, and Tom Pyszczynski: Handbook of Experimental psychology, (New York: Guilford publications, 2004).
- C.A. Thurber, M.D. Sigman, J.R. Weisz, & C.K. Schmidt: homesickness in preadolescent and sequelae, lbid, behavioral correlates, adolescent girls: Risk factors
- L. Janelle Wilson: Nostalgia Sanctuary of meaning, (Minnesota: Unversity of Minnesota publishing Minneapolis, USA, 2014).
- Marco Cavallaro: recollecting nostalgia, Husseri and Borges on the phenomenology of Moods 11th Annual conference of the NORDIC SOCIETY FOR PHENOMONOLOGY, (COPENHAGEN: University of Copenhagen, April 18 – 20, 2013).
- j.pearsall Ed:the new oxford dictionary of English, (UK:Oxford University Press, 1998).

- C.A. Thuber: the phenomenology of homesickness in boys, (Journal of abnormal Child Psychology, 27,1999).

Sources

- Dr. Khawla Hamdi, (2012), In my heart is a Hebrew female, Kayan Publishing and Distribution, Tunisia.
- Said Benkrad, (2001), Narrative Semiotics, Casablanca Zaman Publications.
- Mikhail Bakhtin, Youssef Hallaq (translator), (1990), Forms of Time and Place in the Novel, Ministry of Culture - Syria.
- Dr. Ibrahim Arafat, (2017), Employing Nostalgia in Our Lives, Al-Watan Magazine.
- Ezzat Mulla Ibrahimi and his friend Jafari Nazad: Manifestations of Nostalgia in the Poetry of Amri Al-Qays, in the Journal of the College of Basic Education

for Educational Sciences and Humanities, (Hilla: University of Babylon, Issue 38, April 2018).
T. S. Eliot Stefana Boem, (2023), Nostage in Literature. Who Needs the Past, Asharq Al-Awsat newspaper. https://aawsat.com/home/article/4265646/%C2%AB%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%88%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%A7%C2%BB-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D9%8A%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%9F
-
- willis NcCann: Nostalgia: A Descriptive and Comparative Study, (Ph.D) (Indiana University, Dept. of Psychology, 1940).
- D.D. Muehling and Pascal: An empirical investigation of the differential effects of personal. historical and non- advertising on consumer responses, (Journal of Advertising, Vol. 40(2), 2011).
- J.J.Sierra and McQuitty: Attitudes and emotions as determinants of nostalgia purchases: An application of Social Identity Theory, (Journal of Marketing Theory and Practice, Vol. 15(2), 2007).
- Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, (Organizations and Markets in Emerging Economies, ISSN 2029-4581, VOL. 4, No. 2(8)، 2013).
- Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, Ibid.
- Nikita Telford: Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, (Dublin: National College of Irelan, 2013).
- Jeff Greenberg Sander L. Koole, and Tom Pyszczynski: Handbook of Experimental psychology, (New York: Guilford publications, 2004).
- C.A. Thurber, M.D. Sigman, J.R. Weisz, & C.K. Schmidt: homesickness in preadolescent and sequelae, lbid, behavioral correlates, adolescent girls: Risk factors
- L. Janelle Wilson: Nostalgia Sanctuary of meaning, (Minnesota: Unversity of Minnesota publishing Minneapolis, USA, 2014).
- Marco Cavallaro: recollecting nostalgia, Husseri and Borges on the phenomenology of Moods 11th Annual conference of the NORDIC SOCIETY FOR PHENOMONOLOGY, (COPENHAGEN: University of Copenhagen, April 18 – 20, 2013).
- j.pearsall Ed:the new oxford dictionary of English, (UK:Oxford University Press, 1998).
- C.A. Thuber: the phenomenology of homesickness in boys, (Journal of abnormal Child Psychology, 27,1999).

الهوامش

[1] - ينظر عزت ملا ابراهيمي وصديقه جعفري نزاد: مظاهر النوستالجيا في شعر امريء القيس، في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (الحلة: جامعة بابل، العدد 38، نيسان 2018م)، ص 263.

[2] - see:j.pearsall Ed:the new oxford dictionary of English, (UK:Oxford University Press, 1998), p:1266.

[3] - see: willis NcCann: Nostalgia: A Descriptive and Comparative Study, (Ph.D) (Indiana University, Dept. of Psychology, 1940), p:5.

[4] -
https://aawsat.com/home/article/4265646/%C2%AB%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%88%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%A7%C2%BB-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D9%8A%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%9F

[5] - See: Marco Cavallaro: recollecting nostalgia, Husseri and Borges on the phenomenology of Moods 11th Annual conference of the NORDIC SOCIETY FOR PHENOMONOLOGY, (COPENHAGEN: University of Copenhagen, April 18 – 20, 2013)، p: 2.

[6] - See: L. Janelle Wilson: Nostalgia Sanctuary of meaning, (Minnesota: Unversity of Minnesota publishing Minneapolis, USA, 2014) , P: 9.

[7] - See: C.A. Thuber: the phenomenology of homesickness in boys, (Journal of abnormal Child Psychology, 27,1999), p: 125-139.

[8] - See: C.A. Thurber, M.D. Sigman, J.R. Weisz, & C.K. Schmidt: homesickness in preadolescent and sequelae, Ibid, p:185-196, behavioral correlates, adolescent girls: Risk factors

[9] - See:Jeff Greenberg Sander L. Koole, and Tom Pyszczynski: Handbook of Experimental psychology, (New York: Guilford publications, 2004), P.204.

[10] - See: Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, (Organizations and Markets in Emerging Economies, ISSN 2029-4581, VOL. 4, No. 2(8)، 2013) ، P.116 .

[11] - See: J.J.Sierra and McQuitty: Attitudes and emotions as determinants of nostalgia purchases: An application of Social Identity Theory, (Journal of Marketing Theory and Practice, Vol. 15(2), 2007), P.100.

[12] - See: Nikita Telford: Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, (Dublin: National College of Irelan, 2013)، P.7 .

[13] - See: D.D. Muehling and Pascal: An empirical investigation of the differential effects of personal. historical and non- advertising on consumer responses, (Journal of Advertising, Vol. 40(2), 2011), P.108.

[14] - See: Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, Ibid, P.116.

[15] - See: Ibid, P.116.

[16] - سعيد بنكراد السيميائيات السردية، الدار البيضاء منشورات الزمن، 2001)، ص 141

[17] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص٢٠٧

[18] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، كيان للنشر والتوزيع، تونس، 2012، ص١٠٤.

[19] المصدر نفسه، ص١٦٤

[20] المصدر نفسه، ص١٨٥

[21] - تي اس اليوت ستيفانا بويم، النوستاجيا في الادب.. من يحتاج الى الماضي، صحيفة الشرق الاوسط، 2023.

[22] د.خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص.٢٨٩

[23] - د. ابراهيم عرفات، توظيف النوستالجيا في حياتنا، مجلة الوطن، 2017.

[24] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص ٢٧

[25]- د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 160

[26] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 160

[27] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 162

[28] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 185

[29] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 260

[30] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 104

[31] - ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، يوسف حلاق (مترجما)، (سورية وزارة الثقافة، 1990م)، ص 6.

[32] - 0، ص ١٨٦

[33] - 000، ص ١٨٧

[34] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص ٢٠٥

[35] - د.خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص٢٢٥

[36] - د. خولة حمدي، في قلبي انثى عبرية، ص 174